في المقتطف ومرة في مجلة المجمع بعد صدور كتابه (ملقى السبيل) حيث قال ان المؤلف ذكر حظ العرب في البحث اليقيني فعزا اليهم نقائص وهنات كثيرة وكاد يجردهم من كل أثر علمي أو أدبي أو فلسفي ، وقد حاد المؤلف عن جادة الانصاف لانه لو سار في محاكمته على أسلوب يقيني محض لوجب ان يذكر ان العرب لم ينفردوا بأسلوبهم الغيبي بل كان هذا الاسلوب طابع مدنية من عاشوا معهم ومن درجوا قبلهم ، وحسب العرب أن يكونوا في التاريخ حفظة العلوم القديمة وموسعيها على قدر ما بلغته كافة البشر . »

• • •

وفي مراجعاتنا عن الامير مصطفى الشهابي لم نلبث ان طلع علينا في مجلة «الهلال» فيابريل 1930 بأولى مقالاته التي توالت ، وكان لها طابعها المختلف عن مقالات مجلتي المقتطف والمجمع العلمي العربي ، لانها تتناول موضوعات في الادب الخالص فهو يتحدث فيها عن فلسفة اللذة ، وفلسفة القوة ، ثم غرائب المطالعات ، وحقيقة الانسان وغرائب المصانعين ، وحديث بغل وحمار ..

ولكن الامير مصطفى الشهابي لا ينسى دولة الازهار والخيل والزرع ، وهو مهما تحدث عن ابن خلدون وعارض رأيه في أن الكتب التي تكون الاديب اربعة ، هي الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والنوادر لابن علي القالي . وانه لا يجوز ارسال جملة مطلقة كهذه الجملة ، وحصر اصول الادب العربي في نطاق هذا العدد المحدد من الكتب ، وأن هناك من الكتب الاخرى الرائدة ما يحتاج اليه الاديب كالاغاني والعقد الفريد ، وخزانة الادب للبغدادي ، ورسائل الجاحظ وابن المقفع وسهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ... بالرغم من هذا كله يعود الامير مصطفى الشهابي الى دولة الازهار والخيل والزرع ...

فما هو الا أن يطلع على القراء بذلك المقال الذي احببته منذ مطالع صباي وقراته مرارا ، واختارته الهلال في كتابها «أحسن ما قرأت» والمقال بعنوان : (الازهار المداسة) :

وفيه يقول الامير مصطفى الشهابي :

« كنت البارحة انحدر الى دمشق من داري في سفح (قاسيون) فاسترعى نظري جار يدوس أزهارا نابلة ملقاة في الطريق منها ورد وخطمى وخشخاش ومرغريته وغيرها تتخللها زهرات صغيرات من الفل ، وكلها قد حال لونها وفسدت رائحتها وزالت نضرتها ؛ فتذكرت على الفور قصيدة مرقصة بعنوان «السجينة» لشاعرنا العربي الامريكي الرقيق « ايليا ابو ماضي » وصف فيها زهرة كانت تعيش في الحقل قريرة العين ، هادئة البال ، سعيدة بالتراب الغني والهواء النسمي ، والظل الندي ونور الشمس ودفئها ، وترقص الاغصان على موسيقى الرياح ، وتطاير الفراش في انتهار وتهاوى النيازك في النيل ، فاذا بغاو من غواة الزهر يقطفها مغتبطا بها . فيضعها في زهرية ، ويسجنها في غرفه ، فتتالم وتتفجع ، وتستغيث من نظرات العشاق وانوف النشاق ... فلا رقص الكواكب في القصر كرقص الفراش في الحقل ولا المصابيح المتلألئة في الابهاء كنور الحباحب الضعيف في الدجى ، ولا عصر الحسان في عبقه كريح التراب في فعونه .

ونظرت الى الجار يطا تلك الازهار دون ان يعتذر أو يتخشع فدنوت منه وبدأت الحديث ثم قلت : أوتدري ياصاح ان من الازهار الجميلة النادرة نباتات تظل تجيء كما يريدون من حيث تكوينها وتزيينها ، وانهم بعد هذا يبيعون النبتة الواحدة من الصنف الجديد بعشرات من الجنيهات . هلا امعنت نظرك في أوراق هذه النباتات تدوسها ، وادركت أشكالها العجيبة من سنانية وسهمية ومستطيلة واهليلجية وكاملة ومقرصنة الى عشرات من الصفات المختلفة ، وقد اتخذ الناس كثيرا من أنواع الزهر علامات يدل كل منها على ضرب من النعوت المستملحة ، والصفات المستحبة ، فالبنفسج للحشمة ، والورد للجمال ، وشبه الشعراء أعضاء الحبيب بصنوف الزهر ، فجعلوا الخدود كالورد ، واللحظ كالنرجس ، والشفة كالشقائق ...

هل جال في خلدك ان تدخل قبة الصخرة في القدس ، او المسجد الاموي في دمشق فترى تزاويق الزهر وتعاريج الورق في زخرف عربي أخاذ ، هل عرجت على تدمر او بعلبك فرأيت الازاهر كيف تنقش في الصخر الاصم ولكم نقش المصريون الاقدمون زهرة اللوطس وورقتها على هياكلهم وأبنيتهم ونقودهم وحليهم وكم سحرت أوراق الاقحوان فناني اليونان والرومان فأوجدوها في أعمدة قصورهم وهياكلهم ....»

• • •

وهكذا يمضي الامير الشهابي في الحديث عن الزهر ، حديث الادب هنا وحديث العلم هناك في معاجمه وابحاثه المضطرده في مجامع دمشق والقاهرة وبغداد وهو في حياته يعيش علمه وفكره ، فاذا عرض لنا مذكرة من

يومياته احسسنا مدى اثر بيئته في فكره وعلمه – يقول في احدى مذكراته :

« كنت منذ بضعة أيام ممتطيا صهوة جواد من العراب يسير بى الهوينا تحت مسوق ادواح الغوطة الفيحاء في نفر من الصحاب كلهم من هواة الخيل وفرسان الليل وقد رق الهواء في ايام الخريف الذهبيات ، وسكنت الطبيعة وجملت الشجر تنتثر أوراقها وتتعرى لترقد في الشتاء ، وكانت الخيل قد شاركت الطبيعة في مظاهرها فكانت تسبح بنا سبحا ، وهي أساس ما تكون قيادا إلا فرسا جموحا هجينا أبطره القعود ، وفرط العلف ، فكان ينزو بصاحبه ويفرمض ويعرض (يمشى بالعرض) حتى اذا اقترب من فرسى شخر ونخر بصوت أجش ، ورفع احدى رجليه ولبط لبطة استقرت في داعصتى (صابونة الركبة) فترجلت أعرج ، وانتفض من الالم كالمقرور ، ازعده البرد او كالمحموم نفضته الحمى ، وفى دقائق معدودات حملتني سيارة الى الدار فجلست في حديقتها استريح على مقعد قبل بلوغ احدى الغرف فما راعنى الا زنبور يدوم في الهواء ، وكانه عقد على موعد، لانني ما كدت أجلس حتى انقض على سبابة يدى اليمنى فلسعها لسعة ورمتها ثلاثة أيام ...»

• • •

وهكذا يبدو الامير مصطفى الشهابي منذ مطالع حياته وهو يعيش في دولة الزهر والخيل والزراعة ، ومن هنا كان التصاقه الروحي والفكري بالعمل اللغوي الذي تخصص له ، والذي برز فيه وعد مرجعا من مراجعه في العالم العربي كله ...

واذا كان لي أن أستطرد في هذا المجال فاني اقول ان الشعر وهو احدى مواهب الامير الشهابي قدعاش ايضا في مجال الزهر والخيل ...

ففي قصيدته التي ودع بها القاهرة عام 1935 يقول :

القلب كالزئبق الرجراج ينفض من نـ
ـار التفرق خفاقا وموارا
يهيم في مصر ملتاعا ينش وقد
سار القطار بنا ليلا فما سارا
يا ساكنى عين شمس هل بأضلعكم
مأوى تحلون فيه ذلك الجارا
وهل تعلونه من ماء نيلكم
علا يسكن فى سوداته نارا
جاءوا الى بأزهار الوداع وقد
بلت دموعى أردانا وأزهارا
تصوح الزهر اشفاقا على فما
أصبحت منه ذكى العرف معطارا
أواه يا نسمات النيل ساجية
كم ضمك الصدر اشهاقا وزفارا
وكم تعطرت بالريحان وامتزجت
ريالك بالروض افنانا ونوارا
ما ان نشفتك حتى خلت منتعشا
ماء الحياة جرى بالجسم انهارا
وخلتني عدت مخضل الاهاب الى
شرخ الشباب قوى العزم جبارا
مهلا أحبائي انى عائد لكم
مهما تعنت هذا الدهر أو جارا
لولا دمشق وروض الغوطتين لما
تخيرت غير جنان النيل لى دارا

• • •

وبعد فان تاريخ الامير مصطفى الشهابى وكفاحه في مجال اللغة العربية يطول وقد عاد الى بالذاكرة اليه عبارته في أول كتابه (المصطلحات العلمية في اللغة العربية) حين يقول انه بدأ منذ ثلاثين سنة ينشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق والمقتطف بالقاهرة باكورة هذه المصطلحات في علوم الزراعة وفي علوم المواليد الثلاثة من نبات وحيوان وجماد وانه ثابر عليها الى اليوم حتى تجمع له نحو عشرة آلاف لفظة عربية أو معربة وضعها قبالة الالفاظ الفرنسية او الاسماء العلمية وقد ضم معجم الالفاظ الزراعية المطبوع في دمشق 1943 وفي القاهرة 1957 معظمها

وقد تحدث الامير مصطفى الشهابى في مطالع بحثه عن نشوء اللغة العربية ووسائل نموها بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب . وتصدى لما واجهها ازاء نقل العلوم فى النهضة الحديثة وجهود المجامع الثلاثة فى دمشق والقاهرة وبغداد فى هذا الصدد ومضى يتحدث عن هذه المصطلحات حتى أغنى الباحث في مجالها .

ونحن اذ ننقل صورته الى مجلة اللسان العربى الزاهرة انما نذكر أولئك الرواد المغاربة في مجال المصطلحات واللغة أمثال عبد الله كنون ومحمد الفاسى وعبد العزيز بنعبد الله ، وأمامي له معجم عن الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية وأبحاث أخرى عديدة.

واذا جاز ان نتحدث عن الامير مصطفى الشهابى خارج مجال اللغة العربية فانا نقول انه واحد من رواد القومية العربية وأحد أفراد حلقة دمشق الصغيرة

وجمعية الاخاء العربي والجمعية القحطانية ... وحلقة الشيخ طاهر الجزائري وقد أجرى هذا الحديث فياضا في كتابه (القومية العربية : تاريخها وقوامها ومراميها) وله أيضا دراسته الخصبة عن (الاستعمار) ومئات الابحاث والمقالات في صحف العالم العربي في الادب واللغة والتاريخ .

وقد تناولته بالدراسة في موسوعة معالم الادب العربي المعاصر في مجال كتاب النثر وفي مجال حماة اللغة العربية ، وحياته حياة خصبة حافلة بالعمل النافع للفكر العربي ، ولد في حاصبيا من اعمال دمشق وتعلم في دمشق واستانبول ثم سافر الى فرنسا حيث حصل على اجازة في الهندسة الزراعية ثم عاد م نباريس 1914 الى استنبول حيث اتصل باعضاء جمعية المنتدى الادبى الذين كانوا يحملون لواء الدعوة العربية وقد اتجه الامير الى ميدان الفكر ، وولى عددا من المناصب حتى أصبح وزيرا للمعارف سنة 1936 ثم سفيرا لسوريا في مصر عام 1952 واشترك في المجامع الثلاثة واصدر معجمه الباهر ، ويرجع اهتمامه بالمصطلحات الى الحركة العربية التي كانت ترمى قبيل الحرب العالمية الاولى الى تحرير اللغة العربية من المسميات الاجنبية .

ويؤمن الامير الشهابي بان التراث العلمي والادبي والفلسفي الذى خلفه العرب والمسلمون لا مثيل له فى الكم والكيف جميعا في لغة ما من لغات العالم وهو لا يرى تعارضا بين العروبة والاسلام ، يقول « ان القومية العربية والاسلام يمشيان جنبا الى جنب دائما ولا يستطيع العرب أن يفعلوا ما فعل الترك في الالحاد وجعل الحكومة لا دينية » وهو يهاجم استعمال الحروف اللاتينية ويرى انها تبعدنا عن تراثنا العلمى وعن الشعوب الاسلامية التي تكتب بحروفنا وعنده ان تبديل قواعد اللغة الاصيلة يبعدنا عن فهم القرآن وهو تراثنا الاعظم دينا وقوميا ، ، ولا يجوز بحال العدول عن فهمه وتفهيمه مهما مست الحاجة الى تسهيل قواعد الصرف والنحو في اللغة الضادية ويرى ان مفردات اللغة العربية ومعاني المفردات وتعبيرات تلك اللغة واصطلاحاتها لم تجمد قط على حال واحدة منذ صدر الاسلام وهي التي يجب علينا العمل في سبيلها حتى تجاري العربية لغات أوربا الحية .

وفي الجملة فان الامير مصطفى الشهابي عالم لغوي وبحاثة واديب أقام منذ ثلاثين عاما دولة للزهر والخيل والزراعة في أدبنا العربي .

القاهرة ـ انور الجندي

الحادث والتاريخ

الاستاذ مالك بن نبى
مدير التعليم العالى بالجزائر

لقد كان التاريخ الى حد القرن العشرين شبه متحف حيث كان ياتى المؤرخ للتزود بالمعلومات عن شعب ما وذلك فى زاوية معينة مخصصة لهذا الشعب وسياسته وفنه وأدبه وفلكلوره ... ذلكم هو التصور التقليدى للتاريخ .

بيد انه كان من الممكن بالنسبة للمؤرخ أن يلاحظ فى بعض الاوقات السمة المشتركة وصلة الرحم بين بعض زوايا المتحف .. فهو اذ ذاك امام «وحدة» تاريخية معينة .

ولقد يسمى ج أ توينبى هذه الوحدة بحقل الدراسة أو «مجال البحث» (I) . ومجال البحث هذا عبارة عن المساحة التى يتم فيها النسيج التاريخى بفعل حوادث تجد تفسيراتها وغاياتها وأسبابها ومسبباتها فى هذا المجال او الحقل .

وهكذا يوسع توينبى التصور التقليدى توسيعا ملحوظا يعمقه وذلك بتطعيمه بمفهوم « مجال البحث » الذى يطيح بالاطار الوطنى حيث كان ينحصر تصور المؤرخ اليونانى (توسيديد) .

الا أن الاطار الجديد الذى يقترحه المؤرخ الانجليزى الكبير كان قد تداعى هو الآخر خلال القرون تحت وطأة دفع الحوادث لتاريخية أقوى وأكثر تشابكا من أن نلتمس لها تفسيرا فيما يسميه المؤرخ الكبير بمجال البحث .

فسقوط الدولة الرومانية مثلا ظاهرة ينسبها المؤرخون الى موجة المهاجرين العارمة التى تدافعت على شعوب الشرق الاوربى فدفعت بهم الى غزو الغرب اللاتينى . ويفسر فعلا الحادث فى شكله هذا فى نطاق « مجال البحث الاوربى» بيدا أننا اذا ذهبنا بالتحرى مذهبا أبعد بأن نطرح هذا السؤال .. ترى كيف نشأت هذه الموجة التى يسميها المؤرخون الالمان « الفولكارفاندرونغ » Volkervanderung اى موجة الشعوب هى الاخرى ؟ وفى الحال يحطم سؤالنا هذا نطاق ما يسميه المؤرخ الانجليزى بحقل الدراسة لان الظاهرة التى كانت لحد الآن شيئا اوربيا تصبح فجاة «حدثا» أسيويا . وبالفعل فان تداعى أسرة مالكة صينية قبل ذلك بقرون هو الذى دفع قبيلتين منغوليتين على المسارعة للنهب والسلب بحيث اصطدمتا ، فكان لاصطدامهما أثره البعيد فى دفع شعوب الشرق الاوربى فى التيار المسمى « موجة الشعوب » أو « الفولكارفاندرونغ » .

فهنا حدث معبر عن تصور تاريخى عالمى على مستوى ذلك الزمان .

وهناك حدث آخر وقع بعد ألف عام من ذلك لايقل كشفا عن التصور التاريخى العالمى فى العصور الوسطى .. ذلكم هو تدخل «تيمورلنك» الذى يغير مجرى التاريخ لان حفيد جنكير خان قد ظهر بالضبط فى الوقت الذى كان يستعد الامير العثمانى «بايازيد» وملك القبيلة الموغولية المسماة بالقبيلة الذهبية Horde d'or «توقطاميش» ـ احدهما فى الغرب والثانى فى الشرق على غزو أوربا تلك القارة التى كانت تنفض عنها غبار القرون الوسطى ، واخذت تدخل طريق النهضة Renaissance وهكذا ينقذ عمل تيمور

---

1) Champ d'étude